تحليلات أميركية:

حربُ إيران تُغيّر وجه المنطقة.. وتكشف حدود قوة خصومها

روبرت كاغان - ديفيد هالبفينغز - رونين بيرغمان



تناول الكاتب والمؤرخ الأميركي روبرت كاغان وهو أحد منظري المحافظين الجدد، في مقالة له في مجلة "ذا أتلانتيك" المأزق الذي بلغه دونالد ترامب في الحرب على إيران، قائلاً إن الرئيس الأميركي لا ينهي الحرب من موقع المنتصر، بل ينسحب منها تحت ضغط الوقائع، ما يعني ـ برأيه ــ تراجع الهيمنة الأميركية وصعود إيران كقوة إقليمية ودولية. أما الكاتبان ديفيد هالبفينغز ورونين بيرغمان، فيُشدّدان في مقالة لهما في "نيويورك تايمز" على أنّ الحرب على إيران كشفت تراجع موقع إسرائيل داخل القرار الأميركي، بحيث انتقل بنيامين نتنياهو من شريك يقود الحرب مع واشنطن إلى طرف مُهمَّش ينتظر قرارات ترامب ويتكيّف معها.

لم تعد الحرب الأميركية-الإسرائيلية على إيران تُقرأ فقط من زاوية الصواريخ والضربات والهدن المؤقتة، بل باتت تُقرأ أيضاً من داخل الارتباك المتصاعد في واشنطن وتل أبيب معاً. فكلما طال أمد المواجهة، بدأت تتكشف مفارقة لافتة للانتباه: الحرب التي دخلتها الولايات المتحدة وإسرائيل باعتبارها فرصة لإعادة رسم الشرق الأوسط، تتحول تدريجياً إلى لحظة تكشف حدود القوة الأميركية، وتُظهر هشاشة الرهان الإسرائيلي على الحسم العسكري والسياسي. ولعلّ اللافت للانتباه أكثر أنّ هذا التحول لم يعد يُعبَّر عنه فقط في تحليلات الخصوم أو تقديرات المحاور المقابلة، بل بات يظهر بوضوح داخل أبرز المنابر الأميركية نفسها. من "ذا أتلنتيك" التي وصفت مآلات سياسة ترامب تجاه إيران بأنها أقرب إلى "الاستسلام"، إلى "نيويورك تايمز" التي كشفت كيف انتقل نتنياهو من موقع "الشريك في القيادة" إلى مجرد طرف مُهمَّش في مفاوضات تُدار فوق رأسه، تتشكل تدريجياً صورة مختلفة تماماً عن تلك التي حاولت واشنطن وتل أبيب تسويقها في بداية الحرب. فهذه المواجهة لم تعد مجرد حرب على البرنامج النووي الإيراني أو البرنامج الصاروخي أو على نفوذ طهران الإقليمي، بل أصبحت اختباراً حقيقياً لقدرة الولايات المتحدة على الحفاظ على هيمنتها، ولقدرة إسرائيل على فرض شروطها الاستراتيجية بالقوة. ومع كل يوم يمر، يبدو أنّ السؤال لم يعد: كيف ستنتهي الحرب؟ بل ماذا سيبقى من صورة الردع الأميركي والإسرائيلي بعدها؟ مع كل يوم يمرّ على الحرب الأميركية-الإسرائيلية ضد إيران، تتكشف صورة مختلفة تماماً عن تلك التي حاولت واشنطن وتل أبيب رسمها في بدايات المواجهة. فالحرب التي دخلها الطرفان بوصفها فرصة لإعادة تشكيل الشرق الأوسط وإعادة تثبيت الهيمنة

الأميركية والإسرائيلية، بدأت تتحول تـدريجياً إلى لحظـة تكشـف حـدود القوة لدى الطرفين معـاً، وتفتح البـاب أمـام توازنـات إقليميـة ودوليـة جديدة. وبحسب التقارير الأميركية، تسير إدارة ترامب نحـو تفـاهم مـع إيـران يقـوم على وقـف الحـرب وفتح مسـار تفاوضـي جديـد بشـأن البرنـامج النـووي ومضـيق هرمـز. غـير أنّ هـذا المسـار لا يُقـرأ داخـل الولايات المتحدة باعتباره إنجازاً استراتيجياً، بل باعتباره تراجعاً فرضته الوقائع الميدانيـة والاقتصـادية. فـإيران، بـرغم الخسـائر الكبـيرة الـتي تعرضت لها، لم تنهَر، ولم تقـدّم التنـازلات الـتي كـانت واشـنطن وتـل أبيب تتوقعانها، بل تعاملت مـع المفاوضـات من موقـع الطـرف القـادر على فرض شروطه، سواء عبر الإصرار على استمرار التخصيب النووي أو عبر تثبيت نفوذها في مضيق هرمز. والأخطر بالنسبة إلى واشـنطن أنّ طهران بدأت تستثمر الهدنة المؤقتة لترسيخ واقع جديد في الخليج، يقـوم على فـرض ترتيبـات عبـور واتفاقيـات مباشـرة مـع الـدول المستوردة للطاقة، بما يمنحها نفوذاً اقتصادياً وسياسياً واسعاً. وهكذا، بدل أن تؤدي الحرب إلى تقليص الدور الإيراني، بدأت تفتح الباب أمـام تحوّل إيران إلى مركز إلزامي في معادلة الطاقة العالميـة، بمـا ينعكس مباشرة على موقع الولايات المتحـدة في المنطقـة. في المقابـل، بـدا المشهد أكثر إرباكاً داخل إسرائيل. فالحرب التي دخلها نتنياهو بأهداف كـبرى ــ إسـقاط النظـام الإيـراني، تـدمير البرنـامج النـووي، وإنهـاء القدرات الصاروخية ـ انتهت من دون تحقيق أي من هذه الأهـداف. بـل إنّ التقارير الأميركية نفسها تشير إلى أنّ إدارة تـرامب بـاتت تتفـاوض مع طهـران على اتفـاق قـد يشـبه، في بعض جوانبـه، الاتفـاق النـووي الذي خاض نتنياهو معركة طويلة ضـده قبـل سـنوات. والأكـثر دلالـة أنّ إسرائيل لم تعد شريكاً كاملاً في إدارة الحرب أو التفاوض. فبعدما قدّم نتنياهو نفسـه في الأيـام الأولى بوصـفه الحليـف الأقـرب إلى تـرامب، والقادر على التأثير المباشـر في قراراتـه، وجـد نفسـه تـدريجياً خـارج دائرة القرار الفعلي، فيما بدأت واشـنطن تتعامـل معـه باعتبـاره عبئـاً يجب ضبط اندفاعه لا شريكاً يُصاغ معه الحـل. وقـد ظهـر ذلـك بوضـوح في أكثر من محطة، سواء عنـدما ضـغطت واشـنطن لوقـف اسـتهداف البنية التحتية للطاقة الإيرانية، أو عندما تراجعت عن دعم بعض الخطط العسـكرية الإسـرائيلية، أو حين دفعت نحـو تهدئـة مبكـرة على الجبهـة اللبنانية. ومع الوقت، بدا أنّ أولويـات الولايـات المتحـدة بـدأت تختلـف جذرياً عن أولويات إسرائيل: فترامب يريد منع انفجار اقتصادي عـالمي

وحماية أسواق الطاقة، بينما كان نتنيـاهو يسـعى إلى اسـتثمار الحـرب لإعـادة رسـم التوازنـات الإقليميـة بـالقوة. لكن الحـرب، بـدل أن تمنح إسـرائيل تفوقـاً اسـتراتيجياً جديـداً، دفعتهـا نحـو مزيـد من العزلـة والارتهان. فالدولة الـتي لطالمـا قـدّمت نفسـها باعتبارهـا قـادرة على "الدفاع عن نفسها بنفسها"، باتت تنتظر "الضـوء الأخضـر" الأمـيركي حـتى في أكـثر القـرارات حساسـية. أمـا نتنيـاهو، الـذي حـاول تحويـل الحرب إلى لحظـة شخصـية وتاريخيـة تعيـد تكـريس صـورته كــ"حـامي إسرائيل"، فوجـد نفسـه مضـطراً إلى تعـديل خطابـه وأهدافـه بصـورة متكررة، تبعاً لتحولات الموقف الأميركي وتقلبات ترامب نفسه. تكشف هذه الحرب حقيقة أوسـع من مجـرد تعـثر عسـكري أو تفـاوض متعـثر. فهي تشــير إلى تحــوّل أعمــق في بنيــة النظــام الإقليمي والــدولي. فالولايات المتحدة لم تعد قـادرة على فـرض الحسـم بسـهولة كمـا في السابق، وإسرائيل لم تعد تملك القدرة على تحويـل التفـوق العسـكري إلى إنجـاز سياسـي دائم، بينمـا نجحت إيـران ــ بمجـرد صـمودها ومنـع إسـقاطها ــ في فـرض نفسـها لاعبـاً لا يمكن تجـاوزه في أي ترتيبـات مقبلة. ولهذا تبدو الحرب، حتى لو هدأت جبهاتها مؤقتاً، أبعد من مجـرد نــزاع عــابر على البرنــامج النــووي أو النفــوذ الإقليمي. إنهــا مواجهــة كشفت حدود القـوة الأميركيـة والإسـرائيلية معـاً، وفتحت البـاب أمـام شرق أوسط جديد تتغير فيه موازين الردع والنفوذ والتحالفـات، وربمـا يتغير معه شكل النظام الدولي نفسه.